﴿ عبد العزيز بك علي المصري ﴾

عبد العزيز بك المصري ـ أو عزيز بك كما تقول الترك ـ من ضباط اركان الحرب المشهورين في الجيش العثماني . وقائد برقه في قتال الجيش الايطالي . وقد قبض عليه في الاستانة منذ شهرين وسجن بأمر ديوان الحرب العرفي ، ولم يعرف السبب الرسمي لذلك ، فحدث لذلك من التأثير السيء في مصر وسورية وغيرهما من البلاد العربية فوق ما كان ينتظر ، وصار ذلك شغل الجرائد العربية الشاغل ، وسرى هذا التأثير الى كثير من الجرائد الاوروبية . وتناقلت الجرائد عن الاستانة ان الذي وشى به هو الشيخ عبد العزيز شاويش الذي وظيفته التجسس على العرب . وقد دعا شيخ الجامع الازهر اشهر علماء المصريين وفضلائهم الى عقد اجتماع للتشاور فيما يجب اتخاذه لانصاف هذا الرجل ، فاجتمع الوف من الناس في ٢٦ من هذا الشهر . وكان قد دعي الى الخطابة فيما يتعلق بهذا الموضوع رفيق بك العظم ومحمد افندي لطفي جمعه ومحمد أبو شادي بك وابراهيم بك الهلباوي ـ الثلاثة من المحامين ـ فخطب كل منهم فاجاد ، واثنوا على عبد العزيز بك المصري واطروا خدمته للدولة واقاموا الدلائل والبينات على استهجان القبض عليه وفندوا ما شاع وما تصور من اتهامه به . وخطب صاحب هذه المجلة خطبة ارتجالية وجيزة اقترحت عليه عند ما وصل وأخذ مجلسه من مكان الاحتفال ، واختار ناظم عقد المجلة حسن باشا رضوان ان يكون الخطيب الثاني ، فأجبنا الطلب ، ثم اقترح علينا أن نكتب ملخص ما قلناه وننشره وهو هذا :

اقترح علي الآن أن اقول شيئاً في الموضوع الذي عقد لاجله هذا الاجتماع ولم يكن اسمي في جدول الخطباء ـ وهم كثير ـ فانا اقول كلمة وجيزة حتى لا اضيع على الخطباء المستعدين وقتهم

سمعتم ما شرحه الخطيب الاول (رفيق بك) من خدمة عبد العزيز بك المصري للدولة والامة في إقامة الدستور وتأييده ، وفي مقاومة حرب العصابات المسلحة في مكدونية ، وفي اليمن وبرقة . وستسمعون من سائر الخطباء شرحا اوسع في الثناء على الرجل . واني اظن كما تظنون أن الرجل بريء مما رماه به السعاة الواشون ، ولكنني ابني كلمتي على غير الاساس الذي بنى عليه رفيق بك كلامه ،

فانا لا افرض انه بريء، وانه يخشى أن يؤثر في اعضاء المحكمة التي تنظر في قضيته ما يدور حولها من السعايات والاوهام فتصدق بعضها وتبني عليه الحكم، ولا اقول بوجوب عفابه اذا كان مذنباً أو طلب العفو عنه بعد الحكم، بل أقول قولا آخر فهاكموه:

يجوز أن يكون عبد العزيز المصري قد أتى بذنب، لأنا نحن المسلمين لا نقول بعصمة أحد من البشر غير الانبياء الذين يبلغون رسالات ربهم فيما يتوقف عليه امر التبليغ وحكمته، كما يجوز أن يذنب كل واحد من الناس وليس فيهم انبياء مرسلون. يجوز هذا عقلا وان كان لدينا دلائل متعددة تؤيد البراءة الاصلية، أظهرها أن الرجل بقي زمناً في الاستانة بعد عوده من برقة كانت توكل اليه الاعمال العسكرية التي لا توكل عادة الى المجرمين المستحقين للسجون، ولم يؤخذ بالتهمة المبهمة الا بعد استقالته من الخدمة، ولم يكن له بعدها عمل صالح ولا سيء. وانما أخذ بسعاية واش مفسد. فلنفرض انه مذنب، فان ذلك الواشي الخبيث صادق

أنتم تعلمون ان الامم لا تعز ولا ترتقي الا بالرجال القادرين على الخدمة العامة للأمة العاملين بها، وهؤلاء الرجال نادرون، لذلك يجب ان يضن بهم وتقال عثراتهم. وعزيز المصري من هؤلاء الرجال بدليل ما قام به من الخدمة العامة للدولة والأمة، فاذا صدق ذلك الواشي النمام الخبيث — وما كان الا كذوباً — في زعمه انه قد اتى ذنباً يحاكم عليه، أليس له من حسناته وخدمته العامة شفيع يقتضي أن تغفر الدولة ذنبه وتقيل عثرته؟ وهل كان الذين يريدون الانتقام منه براء من الذنوب والعثرات؟ أم نقول لهم كما قال المسيح عليه الصلاة والسلام حين جيء بالمرأة الزانية لاحل رجمها؟

كلا ان لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة، ولنا في سيرة اصحابه وأئمة العدل من خلفائه ما نهتدي به في مثل حادثة عزيز المصري.

كان ابو محجن الثقفي مدمن خمر في الجاهلية وقد اسلم ولقي النبي (ص) وروى عنه حديثاً. وكانت الخمرة قد احدثت له مرض الخمار فكان لا يستطيع تركها، وكانوا يجلدونه اذا شرب فيري الم الجلد دون الم الخمار. وقد حضر حرب القادسية مع سعد بن أبي وقاص (رض) فحبسه سعد وقيده بتهمة الشرب، وقد التحم المسلمون مع المجوس في معركة شديدة، وكان سعد يجره مراراً إلى حضر المعركة من قصر على سطح بيته ينظر ما يفعل المقاتلون. فلما رأى ابو محجن رحى الحرب دائرة وسمع على المسلمين ان يغلبوا، رغب الى امرأة سعد التام أن تخلية من قيده ليجرب الفرس لسعد ويعاودها بان يعود الى قيده اذا هو سلم. ففعلت. فوثب على فرس لسعد يقال لها

البلقاء ، وحمل برمحه على جيش الاعداء ، فكان لايحمل حملة الا انهزم الاعداء امامه . وكان سعد (رض) يرى ذلك ويتعجب ويقول : الكر كر البلقاء والحمل حمل أبي محجن(١) وابو محجن في القيد ! . ولما انهزم العدو رجع ابو محجن الى قيده كما وعد امرأة سعد . واخبرت هي سعداً بما كان ، فاطلقه من قيده ، وقال : لا أحدّ اليوم رجلا نصر الله المسلمين على يديه . فقال ابو محجن : لقد كنت اشربها اذ يقام علي الحد فيطهرني ، واذ قد عافيتني (٢) فوالله لا اشربها ابداً . وتاب من ذلك اليوم

ولدينا شاهد آخر من وقائع القادسية : زُهرة بن حَوِية هو الذي قتل الجالينوس ، قائد جيش المجوس ، وقد اخذ سلبه بدون إذن القائد العام سعد بن أبي وقاص ، فانتزعه سعد منه وأراد أن يؤاخذه ، ولكنه كتب الى امير المؤمنين عمر ابن الخطاب يستأمره في ذلك . فكتب اليه عمر (رض) : تسعد الى مثل زهرة وقد صلى بما صلى به ، وبقي عليك ما بقي من حربك وتكسر فوقه ؟ (٣)

انكر سيدنا عمر على سعد عمله ، وامضى لزهرة سلبه ، لانه رأى أن عمله الماضي والحاجة الى عمله في المستقبل أرجح من هذه المخالفة وأن المصلحة تقتضي ذلك .

ان لنا فوق هذا كله اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر حاطب بن ابي بلتعة : نقض مشركو قريش عهد النبي (ص) فاراد أن يزحف عليهم لفتح مكة ، وكان لحاطب أهل ومال بمكة فخاف عليهم لانه ليس لهم احد يحميهم ، فكتب الى اهل مكة يخبرهم بعزم النبي (ص) فلم النبي (ص) بما كان (وارسل من اخذ الكتاب من امرأة كانت تحمله في عقاص شعرها) وسأل حاطباً عن ذلك فاعترف واعتذر بالخوف على اهله وولده وانه عمل ما لا يضر الله ولا رسوله . فقبل عذره . واراد عمر بن الخطاب الذي تضرب الامم بعدله المثل أن يقتله ، لان افشاء سر الحرب من اكبر الذنوب العسكرية فجعله عمر دليل النفاق ، واستأذن النبي (ص) بقتله فلم يأذن له ، وقال « انه شهد بدراً »

عد النبي (ص) شهود غزوة بدر من اقوى آيات الايمان ، والصدق والاخلاص

(١) لفظ سعد (رض) « الصبر ضبر البلقاء » والطبر مكان ابي محجن » الخ والضبر بالضاد المعجمة كر الخيل وعدوها ، والطبر الوثوب (٢) كلمة المأثورة « بهرجتني » ونحن ذكرنا المعنى المراد من هذه الكلمات ليفهمها جميع الحاضرين . وقد أشكل على بعض الناس ترك سعد اقامة الحد وحملوا سببه ، وهو ان الحدود لاتقام في الحرب ولا دار الحرب ، كما تراه في الفتوى الملحقة بالتفسير من هذا الجزء ، وسعد يعلم هذا وهو مما وصى به عمر ، ولا يبعد ان لا يعرفه مثل ابي محجن

(٣) الفوق بالفم وضم الوتر من السهم ، ويطلق على السهم بمعنى الحظ وبمعنى أعلى الفضائل .

في الاسلام، لان المسلمين كانوا وقتئذ في قلة عدد، وقلة مال، وقلة طعام، وقلة ركائب، كانوا في اشد الضعف، وكان المشركون في أوج قوتهم، فمن يبذل نفسه في سبيل الله في مثل تلك الحال، لا يبذلها الا باعث الايمان وحافز الاخلاص، وتلك حسنة تتضاءل بازائها أي سيئة من السيئات

فلنفرض أن عبد العزيز المصري قد اجترح ذنباً عسكرياً كبيراً (كذنب حاطب أو مالياً كذنب زهرة بن حوية، أو شخصياً كذنب ابي محجن رضي الله عنهم)، وان ذلك الواشي الخبيث صادق فيما رماه به ـ وما كان الواشي اللئام الخبيث الا كذوباً فاسقاً ـ أليس له من الجهاد في سبيل الحكومة الدستورية عند تكوينها ومن الدفاع عنها ايام كان الخطر محدقاً بها، ما يشبه حسنة حاطب في شهود غزوة بدر؟ وما كان حاطب ممتازاً فيها بشيء انفرد به دون سائر من حضرها، ولا كان في مقدمة الذين أبلوا فيها وأثخنوا؟ وأما عبد العزيز المصري فكان في مقدمة الضباط الذين أبلوا في فتح الاستانة وفي غيرها من الاعمال العسكرية التي ايدت الحكومة الحاضرة، فهو جدير بان يكتفى منه بالاعتذار، اذا فرضنا انه ارتكب بعض الاوزار، دع خدمته للدولة في عقد الصلح بينها وبين أمم البلقان، بعد حرب استمرت عدة اجيال، سفكت فيها دماء مئات الالوف من الرجال، وضاعت بها القناطير المقنطرة من الاموال، ولم تستفد الدولة من ذلك فائدة ما، فكان ذلك الصلح من افضل الاعمال وانفعها للدولة ولأهل البلقان ـ ثم دع خدمته في قتال الجيش الايطالي في برقة

واذ كان هذا الاجتماع العظيم قد عقد لاجل التشاور في انصاف هذا الرجل، أو انقاذه من الخطر، قد جعل تحت رياسة الاستاذ الاكبر شيخ جامع الازهر، وشهده طائفة من اكبر علمائه، مع هذا الجمع العظيم من خواص البلاد ـ فالذي اراه وأقترحه هو أن ترسل برقية بامضاء الاستاذ الرئيس الى مولانا السلطان المعظم يخاطبه فيها بعنوان الخلافة، ويفتتحها بقوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) ويطلب منه بان لا يؤاخذ عبد العزيز بك المصري بما عساه ينسبه اليه ديوان الحرب من ذنب أو تقصير، لاخلاصه وسابق خدمته للدولة، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في مسألة حاطب، وبامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في امضاء سلب الجالقوس لزهرة بن حوية وبسعد بن ابي وقاص في مسألة ابي محجن (رضي الله عنهم اجمعين) ويظهر له رغبته ورغبة هذا الجمع الكبير من علماء مصر وفضلائها في ذلك. واكبر ظني أن هذا هو أرجى ما يرجى نفعه في الاستانة.

هذا واني اختم كلمتي بالشكر لكم ايها الافاضل الذين تصدتم هذا المكان للسعي في انقاذ اخ لكم من الهلاك فان هذا خدمة للانسانية، ومحافظة على حقوق البشر في الحياة والحرية، وقد قال الله تعالى ﴿ ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعاً ﴾ قال بعض مفسري السلف احياؤها السعي في انقاذها من الموت . والسلام .

هذا ولان لجنة الاجتماع لم تعمل بهذا الاقتراح لانها كانت قد وضعت صورة برقية باسم الصدر الاعظم تتضمن معنى شفاعة الامة المصرية بالرجل . فجاءها جواب من أنور باشا ناظر الحربية، ملخصه ان المجلس الحربي مستقل تمام الاستقلال لا يطرأ عليه أقل تأثير !!

﴿ التعصب على المنار ﴾

هاج بعض غلاة التعصب على المسلمين هيجة شؤمى على المنار في هذا العام، وجددوا السعي الى الوكالة البريطانية أولا وبالذات والى الحكومة المصرية ثانياً وبالتبع، لتبطش باصاحب المنار فتلفيه في غيابة السجن، أو تنفيه من أرض مصر، واستعانوا على مخلهم وسعايتهم ببعض القسيسين وغير القسيسين، من الاجانب والوطنيين، وفشوا سموم تعصبهم في جرائد القبط وبعض الجرائد الافرنجية التي يحرر فيها بعض السوريين . وكان محضاء نار هذه الفتنة، والمدبر الاول لهذه المكيدة، يوسف الخازن اللبناني الذي يعيش من التحرير في جريدة الوطن القبطية، وجريدة دوكير الفرنسية، وهو هو الراسخ في بغض المسلمين الذي نقل عنه انه قال : اذا صافحه مسلم تضطرب اعصابه، ولهذا لا تكاد تراه يبدأ مسلماً من مصافحة .

قد عرف القراء مما كتبناه في الجزء الماضي شيئاً من خبر هذه الهيجة التعصبية على المنار، ولعل أدباء القراء ظنوا أن ما كتبناه في الجزء الماضي قد اطفأ ما يتجلى فيه من حسن نيتنا نيرانهم، واستخرج بحجيجه ومماحته اضغانهم، كلا انه لم يزدهم الا بغياً وعدواناً، وسعاية ووشاية وزوراً وبهتاناً، فنحن نثبت من تاريخنا ومما كتبناه في المنار من أول نشأته الى الآن، انا طلاب تسامح ووفاق، وهم يريدون أن يقبلوا الشيء بضده فيوهموا من يسمع كلامهم أنا دعاة عداوة وافتراق، نحقر النصارى وندعو المسلمين الى بغضهم وعداوتهم لاجل دينهم !!

حسب الانسان أن يعلم من نفسه ومن نيته السعي للخير، والاخلاص في العمل، فان كان يبالي باطلاع الناس على عمله، ومظاهر حسن قصده، لاجل الاسوة الحسنة،